الأَسالِيبُ النَحْوِيَّة فِي الرَّسَائِلِ العُمَرِيَّة

إعداد

هناء محمد محمود محمد

معيدة بقسم النحو والصرف والعروض- كلية دار العلوم

جامعة أسوان

hanaamohamed094@gmail.com

01156556455

ملخص البحث :

تقع الدراسة تحت عنوان "الأساليب النحوية في الرسائل العمرية"؛ إذ تهدف هذه الرسالة إلى دراسة الأساليب النحوية الموجودة بالرسائل العُمَرية، بالتصنيف والتحليل، وقد قسمت الدراسة إلى: مقدمة، وعدة نقاط، وتلحقهم خاتمة تضم أهم نتائج البحث، ثم تليها قائمة المصادر والمراجع، وقد تناولت في المقدمة أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة، ثم تناولت الأساليب النحوية: (تعريفها، وأنواعها " الأساليب النحوية ذات الجملة الإنشائية: أسلوب الأمر، والنهي، والدعاء، والتحذير، والإغراء، والاستفهام، والنداء، والاستغاثة، والشرط، والأساليب النحوية ذات الجملة الخبرية: أسلوب التوكيد الصناعي، وأسلوب التوكيد بالأدوات والحروف الزائدة، وأسلوب التوكيد بالقصر، وأسلوب التوكيد بالقسم، وأسلوب الاستثناء، وأسلوب النفي"، وتناولت دور هذه الأساليب النحوية في التركيب النحوي للرسائل العمرية)، والرسائل تناولت: (تعريفها، ونشأتها، وأنماطها النموذجية، وأنماط الرسائل عند سيدنا عمر)، والسمات الأسلوبية للرسائل العمرية، وموضوعات الرسائل العمرية، إلى جانب إبراز أثر حياة "عمر بن الخطاب" (رضي الله عنه) على شخصيته وفصاحته. ثم تأتى الخاتمة، وبها أهم النتائج التي توصل إليها البحث، تليها قائمة المصادر والمراجع.

Abstract:

The paper is entitled " Grammatical Styles in Omer's Messages", The purpose of this thesis is to study the grammatical styles in Omer's messages. It depends on classifying and analyzing these messages semantically. The study is divided into the following: introduction, some points, A conclusion which contains the most important results of study,and A list of sources and references. In the introduction, the researcher deals with the importance of the subject, the reasons for choosing it, the objectives of the study. the researcher deals Grammatical styles: their definition, types: (that is entitled Compositional Phrasing Styles, and the predicate styles),and their role of the grammatical structure in Omer's messages, Messages: definition, origin, and typical patterns, The stylistic features of Omar's messages, and Topics of Omar's messages, also The impact of the life of "Omar Ibn Al-Khattab" (may God be pleased with him) on his personality and eloquence. The conclusion is followed by the list of sources, and references.

مقدمة:

تتناول الدراسة لوناً هامًا من ألوان النثر الأدبي في أزهى عصور الاحتجاج اللغوي؛ حيث تناولت الرسائل العُمَرية بعصر صدر الإسلام بالدراسة والتحليل؛ لإحياء التراث القديم، وإثراء ودعم الدرس النحوي واللغوي، لتكشف عن فصاحة أمير المؤمنين (رضي الله عنه) وقوة تمكنه من توظيف الأساليب النحوية لما يريده من معانٍ بأسلوب بليغٍ راقٍ، فتتبعت الدراسة الأساليب النحوية الموجودة برسائل سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وصنفتها؛ لبيان أثرها في المعنى، وتصنيف الكلام، وفهم معانيه ومراميه.

أولًا: الأساليب النحوية: (تعريفها، وأنواعها، ودورها في التركيب النحوي للرسائل العمرية):

الأسلوب: "انتقاء يقوم به المنشئ لسمات لغوية معينة؛ بغرض التعبير عن موقف معين، ولا يعنى ذلك أن كل اختيار يقوم به المنشئ لا بد أن يكون أسلوبيا؛ إذ علينا أنْ نميز بين نوعين مختلفين من الاختيار، اختيار محكوم بسياق المقام، واختيار تتحكم فيه مقتضيات التعبير الخالصة، وهو الانتقاء النحوي؛ أي: قواعد اللغة الصوتية، والصرفية، والدلالية، ونظم الجملة"(١).

- الأساليب النحوية الخبرية:

عرف السكاكي الخبر بأنه "الكلام المحتمل للصدق والكذب"(٢)، والخبر في النحو هو: "اللفظ الذي يُكمل المعنى مع المبتدأ في الجملة الاسمية، وفي علم المعاني: هو ما احتمل الصدق والكذب لذاته، فيدخل فيه الأخبار الواجبة الصدق، كأخبار الله

(١) الأسلوب: د/ سعد مصلوح، ط:٣، ١٩٩٢م، ص ٣٨، ٣٩

(٢) مفتاح العلوم: السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، ط:٢، ١٩٨٧م، ص ١٦٤

وأخبار رسله، والواجبة الكذب كأخبار المتنبئين في دعوى النبوة"[١]، مثل: أساليب التوكيد، والنفي.

- الأساليب النحوية الإنشائية :

الإنشاء: "علم يُعرف به كيفية استنباط المعاني وتأليفها، ثم التعبير عنها كتابة بكلام يطابق مقتضى الحال، وفى علم المعاني يُعرف بأنه الكلام الذي لا يحتمل الصدق أو الكذب"[٢]؛ "لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه على النطق به"[٣]، وينقسم لنوعين: طلبي(وهو ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، مثل: الأمر والنهي والدعاء والاستفهام)، وغير طلبي(وهو ما لا يستدعى مطلوبا وقت الكلام، مثل التعجب، والمدح والذم)[٤].

- دور الأساليب في التركيب النحوي للرسائل العمرية:

ساهمت الأساليب النحوية بشكل كبير في بناء التركيب النحوي للرسائل العُمرية؛ لأهميتها في توضيح وإبراز مضمون الرسائل، وإبراز المحور الأساسي الذي دارت حوله، واتضحت الأغراض البلاغية لها بالنظر للسياق اللغوي، وسياق الحال، وقد تنوعت الأساليب في رسائل سيدنا عمر (رضي الله عنه)؛ لاختلاف الموضوعات؛ لذا تعددت الأساليب الإنشائية في الرسائل العمرية بنوعيها؛ الطلبي وغير الطلبي؛ فالأمر ينقسم إلى حقيقي، وغير حقيقي؛ والأول يستدعي طلبا على جهة الاستعلاء، والآخر يتمثل في: الدعاء، والالتماس، والإباحة، وكثير من المعاني

---

(١) موسوعة علوم اللغة العربية: د/إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ط:١، ٢٠٠٦م، ٥ / ٣٢٣

(٢)موسوعة علوم اللغة العربية: د/إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت ط:١، ٢٠٠٦م، ٤٠٦/٣

(٣) الأساليب الإنشائية في النحو العربي: عبد السلام هارون، مكتبة الخانكى، القاهرة، ط٥، ٢٠٠١م، ص١٣

(٤)الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط:٣، ٥١/٣

الأخرى، وكلاهما موجود في رسائله؛ لتوجيه المتلقي للقيام بالأفعال، تكليفا وإلزاما، أو نصحا وإرشادا، واتخذ بناء جملة الأمر في رسائله أنماطًا مختلفة، أدت معاني معبرة وبليغة أفادت تأكيد الأمر، واستخدمه كثيرا؛ لاهتمامه بالتشريع، وإرساء القوانين التي وجب الالتزام بها؛ لتحقيق العدل والأمن.

أمّا أسلوب النهي فقد أتى لطلب الكف عن الفعل، وأتي لمعان أخرى، مثل: الدعاء، والارشاد، والتهديد، وغيره، واستخدم أيضا أسلوب الدعاء، والذي يعد من الأساليب الهامة في رسائله؛ لأن التضرع إلى الله من أهم أسباب انتصارات المسلمين في حروبهم، ومن أهم الأسباب التي تجعل المسلم دائم الاتصال بربه، وقلبه عامرا بخشيته، ونافرا من الذنوب والمعاصي؛ لذا حرص الفاروق على تعليم ذلك لقواده وجنوده، فكان يحثهم على التمسك بالدعاء، وكذلك أسلوب التحذير من الأساليب الإنشائية الهامة التي يُنبه المخاطب بها؛ لتجنب الأمر المكروه، خلافا لأسلوب الإغراء المُستخدم للتوجيه للأمور العائدة بالخير على الفرد والمجتمع.

وقد كثر استخدام أساليب الأمر، والنهي، والتحذير في الرسائل العمرية؛ لتزايد الخطر في عهد الفتوحات؛ فاحتاج الخليفة للحزم في كتاباته خوفًا على الإسلام والمسلمين؛ لذا أكثر من استخدامهم في الرسائل السياسية، والحربية، والقضائية، والوعظية، والتي أرسلها للولاة والأمراء والقضاة؛ لاحتوائها على إرشادات وأوامر مباشرة.

أمّا أسلوب الاستفهام فيعد أحد الأساليب الحوارية المثيرة للذهن؛ للتفكر وتدبر المعاني، ويعد أحد أساليب الإقناع، والذي لجأ إليه الفاروق إذا أراد الإقناع بفكرة، فجعل الحوار أكثر تأثيرًا، خاصة عند استخدام الفعل (سأل) بمشتقاته، وقد تعددت صور الاستفهام وأغراضه بين التصور والتصديق، والحقيقة والمجاز، وأفاد معنى التعجب، أو التنبيه، أو الإنكار، وغير ذلك، وقل الاستفهام الحقيقي في رسائله؛ لأنه كان على علم بالأخبار أولا بأول، وكذلك أسلوب النداء جاء في الرسائل لإثاره

الانتباه، وأتي لمعان عديدة، منها: النصح، والتوبيخ، والطلب، والتحذير، والاستغاثة، وغيرها.

ومن الأساليب الإنشائية غير الطلبية: المدح والذم، والتعجب؛ فالمدح يكون بالثناء وذكر المحاسن، والذم بذكر المعايب والسيئات، وقد ندر في الرسائل العُمَرية، أمّا التعجب فيعكس شعور وانفعال المتكلم عند دهشته من أمر ما.

أمّا أسلوب الشرط ففيه خلاف بين كونه خبريًا أو انشائيًا؛ فقيل أنه خبري؛ لأن معظم البلاغيين لم يدرجوه ضمن الأساليب الإنشائية(١)، وقيل إنشائي؛ لأنه لا يحتمل الصدق والكذب كالأساليب الخبرية، وقيل بالنظر إلى جوابه فإن كان خبريا فالشرط خبري، وإن كان إنشائيا فالشرط إنشائي(٢)،وعده البعض إنشائيا غير طلبي(٣)، وقسم الدكتور/ تمام حسان الجملة الإنشائية إلى طلب، وشرط، وإفصاح؛ فالشرط عنده أحد أقسام الجملة الإنشائية(٤)، والواقع أنه يجمع بين الخبر والإنشاء؛ لكن عند التمعن فيه ينعكس الحث والطلب بصورة غير مباشرة، فالمراد هو "أن يحقق السامع مضمون ما تُلِفِّظَ به في التركيب الشرطي، فيظهر وكأنه أسلوب خبري لفظًا إنشائيّ معنى؛ فالشرط تغلب عليه الإنشائية إما بلفظ جوابه صراحة، وإما بمعناه دلالة"(٥)، وهو الغرض البارز في الرسائل العمرية، وقد غلب على جوابه (الطلب)

---

(١) انظر: النداء في القرآن الكريم: د/ معن توفيق دحَّام، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ص٢٨

(٢) انظر: المطول "شرح تلخيص مفتاح العلوم": التفتازاني، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط:٣، ٢٠١٣م، ٣١٥، ٣١٦

(٣) دلالة الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم "النداء أنموذجا": سعاد زدام، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٩م، ص٥٤

(٤) انظر: اللغة العربية معناها ومبناها: د/تمام حسان، دار الثقافة، ١٩٩٤م، ص١٢٤

(٥) انظر: د/ وليد محمد عبد الباقي، ٢٠١٧/٥م، مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، رقم الفتوى(١١٦٤)، تم الاطلاع عليه في (٢٠٢١/٨/١٥، ٠٠:٦م)، رابط الموقع: www.m-a-arabia.com

مقارنة بالخبر، والذي تضمن طلبا غير مباشر، وقد أفادت منه الرسائل العمرية بشكل كبير، كأحد الأساليب التي عكست طريقة الفاروق في تدريب الأذهان وإعمال العقل.

أيضا استعان بالأسلوب الخبري؛ ليقرر المعنى ويوضحه، وعن طريق السياق تتضح الأغراض المجازية له، مثل: إفادته معنى الأمر، أو النهي، أو النصح، أو الفخر، وغيره، وقد تعددت صوره في الرسائل العمرية بين توكيد، ونفي، ولجأ إلى استخدام أسلوب التوكيد بمختلف صوره؛ لتوكيد الأخبار والحقائق بما لا يدع للشك مجالا؛ لأهمية الموضوعات التي تضمنتها الرسائل، فيؤكد الكلام بطريقة تدفع الشك عن النفس، فاستخدام أكثر من نوع للتوكيد في السياق الواحد؛ ليستقر المعنى في عقل وقلب المرسل إليه، وعكست طريقة استخدامه له ميله للإيجاز.

ومن أشكال التوكيد (القسم)؛ لتوكيد الحديث، ودفع الشك عن ذهن المتلقي، ويُعد بمثابة دعوة لتدبر الكلام، وإعمال الفكر، ومن أشكاله أيضا (القصر) بمختلف صوره، ومنها: التقديم والتأخير، وقد انتبه النحاة للأثر البلاغي الذي يحدثه في المعنى، وتحدث عن أهميته عبد القاهر الجرجاني، وأشار لبلاغته، وأثره على المعنى ودوره في التحكم في رونق ونظم الكلام [١]، ومنهم من اكتفى بإفادة التقديم للعناية والاهتمام، لكن لم يجعلها الجرجاني قصرا على ذلك، وإنما بحث عن سبب هذه العناية[٢]، وقد استعان به الفاروق كأسلوب هام في خطاباته؛ لأغراض بلاغية ومعنوية ونفسية؛ كاهتمامه بالمتقدم، أو تعظيمه، وحصر الدلالة، وتوكيد السياق وتقويته، واختصاصه لمعنى معين دون غيره؛ فقد أحدث هذا الأسلوب تأثيرا واضحا على المعنى وتغييره؛ ليكتسب دلالات جديدة، ومن صور القصر أيضا: القصر

(١) انظر: دلائل الإعجاز: الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة،ط:٣، ١٩٩٢م،١/ ١٠٦، ١١٠، ٢٨٦

(٢) انظر: دلائل الإعجاز: الجرجاني، ١٠٨/١

بـــ(إنما)، وبضمير الفصل، وبالنفي مع الاستثناء، وعند استخدامه لكل طريقة مـــن طرق القصر جاء الكلام مطابقا للمقام أو مقتضى الحال.

وعكس الإثبات "النفي" الذي أعطى السياق له أهمية كبرى إلى جانب اقترانه بالأساليب الأخرى، ويتضح نوعه من خلال اتصاله بأدوات النفي المعروفة (لا، لم، ما، لن ، لمّا، لام الجحود، ليس، غير، لات) فيكون النفي صريحا، أو يكون النفـــي ضمنيا بغير هذه الأدوات؛ ومن ذلك: دلالة التمني على النفي، والشرط بـــ(لو، لولا، لوما)، ودلالة سياق الاستفهام عليه، وقد ورد بنوعيه الصريح والضمني، وقد تناسبت كل أداة نفي مع المعنى المطلوب، وجاءت في موضعها المناسب بالسياق.

ثانيًا: الرسائل "تعريفها ونشأتها وأنماطها النموذجية":

الرسالة: هي "الكلام الذي أُرسِلَ إلى الغير، وخُصَّت في اصطلاح العلمـــاء بالكلام المشتمِل على قواعد علمية، والفرق بينها وبين الكتاب يكون بحسب الكمـــال والنقصان، فالكتاب هو الكامل في الفن، والرسالة غير الكامـــل فيـــه"[١]، "وأغلـــب استعمالهما في (مكتوب) يحمله رسول إلى شخص بعيد عن المُرســـل"[٢]، فالرســـالة تعتمد على طرفين أساسيين؛ أحدهما المُرسِل، والآخر المُرسَل إليه، ثـــم مضـــمون الرسالة التي قد تكون كتابة أو مشافهة"[٣]، وقد يطلق المصـــطلح علـــى الدراســـات والأبحاث العلمية التي تتناول مختلف مجالات البحث العلمـــي، كمـــا تطلـــق علـــى الشريعة التي ينزلها الله (سبحانه وتعالى) على عباده.

---

(١) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي، تحقيق: علي دحروج، وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، ط:١، ١٩٩٦م، ٨٥٩/١

(٢) أدب الرسائل في صدر الإسلام، د/ جابر قميحة، دار الفكر العربى، القـــاهرة، ط١، ١٩٨٦، ص٧

(٣) السابق، ص ١٠

- نشأة الرسائل:

لم يعرف الكتابة بين الناس في العصر الجاهلي إلا عددٌ قليلٌ، فاستعملوا الرسائل –بندرة– لبعض شئونهم الحياتية(١)، ثم ظهرت الرسائل المكتوبة مع ظهور الدعوة الإسلامية(٢)، وقيل أنّ أول ديوان إنشاء وُضع منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)؛ فاستخدمه للدعوة إلى الإسلام، وكاتب أمراءه، وأصحاب سراياه(٣)، وفي عهد الخلفاء اهتموا بالبريد؛ ليكون وسيلة الاتصال بين الخليفة، وبين العمال والولاة، واتسع في عهد خلافة الفاروق، واستخدمه الرعية، وتواصلوا به مع الخليفة (٤)، ومع كثرة الدواوين في عهد الفاروق وجدت طبقة خاصة من الكتاب؛ لاتخاذ الولاة والأمراء كتابًا خاصين بهم(٥)، وكما كان للرسول (صلى الله عليه وسلم) كتابٌ؛ كان للخلفاء كتاب، وقد اتخذ الفاروق كتابًا له(٦) تحت إشرافه وتدقيقه؛ لذا نجد ظهور شخصيته في رسائله بشكل بارز، يدل على نفس شديدة في الحق(٧).

- النمط النموذجي للرسائل:

للرسائل بداية ومتن وختام، والبداية قد تكون بالبسملة، وذكر المُرسِل والمُرسَل إليه، والتسليم، والحمدلة، ثم العبارة الفاصلة (أما بعد، أو وبعد، ونحوهما)،

---

(١) انظر: في النثر العربي: محمد يونس، مكتبة لبنان، ط:١، ١٩٩٦م، ص١٧٤

(٢) انظر: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه: عبد الحكيم بلبع، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٥م، ص٦٢، ٨٣

(٣) انظر: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: القلقشندي، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٢٢، ١/ ١٢٥

(٤) انظر: فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: د/علي محمد محمد الصلابي، دار ابن كثير، ط:١، ٢٠٠٣م، ص٤٠٣

(٥) انظر: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي: د/ حسين نصار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص٥٩، ٦٠

(٦) انظر: الوزراء والكتاب: الجهشياري، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، ط:١، القاهرة، ص١٦، وما بعدها

(٧) انظر: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي: د/ حسين نصار،ص٥٦، وما بعدها

ثم الانتقال للموضوع، ثم الختام[١]، ويعد هذا النظام أحد التقاليد الدينية التي اقتضتها الدعوة الإسلامية في عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ثم سار عليها الخلفاء ومن تبعهم[٢]، وقد يحدث تعديل في هذا الافتتاح بالتغيير والحذف، على حسب كل زمان، وقد يبدأ الرسالة بما يدل على محتواها فيبدأ بتهنئة، أو تعزية أو غير ذلك[٣]، ويتضح نهج سيدنا عمر في ضوء رسائله من خلال أنماطها: فقد مال للإيجاز والاختصار، ويتشابه في ذلك مع نهج الرسول (صلى الله عليه وسلم) في كون الإيجاز صفة ملازمة لأحاديثه، ويتشابه معه أيضا في عدم التزامه بطريقة واحدة في بدء وختام رسائله؛ لمراعاته لمقتضيات الأحوال[٤]، فلم يتقيد بنصي المقدمة والخاتمة المتعارف عليهما؛ بل وضع بداية ونهاية تتناسب مع المُرسَل إليه، والظروف التي أُرسلت بها.

ثالثاً: السمات الأسلوبية للرسائل العمرية:

تنوعت الأساليب النحوية؛ لاختلاف الموضوعات، واختلاف المتلقي للرسالة، ودمج بين العديد من الأساليب في الرسالة الواحدة، وعكست أساليبه الحالة النفسية التي كان عليها وقت كتابة الخطابات، وانتقاء الألفاظ جاء موازيا لما حفل به عهد عمر من معارك، وفتوحات؛ إذ أثّرت الأحداث في عهده على لهجته وأسلوبه، وقد لوحظ وجود بعض الألفاظ القليلة الغريبة في رسائل الفاروق؛ لكنها لم تكن غريبة آنذاك، ومن السهل العثور على دلالتها في المعاجم، فألفاظه وصيغه تعكس الطبيعة العمرية، "فهي قوية خشنة مستقلة جادة خالية من الزخرف"[٥]، ويتضح تأثر الفاروق بالقرآن والأحاديث النبوية؛ فامتاز أسلوبه في الرسائل العمرية بالتناص القرآني، والتناص مع الأحاديث إلى حد كبير.

---

(١) انظر: النثر الكتابي في العصر الأموي: د/ محمد فتوح أحمد، مكتبة الشباب، ١٩٨٩م، ص١٢٤، ١٢٥، ونشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي: د/ حسين نصار،ص٤٤

(٢) انظر: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي: د/ حسين نصار،ص٦٥

(٣) انظر: صبح الأعشى: القلقشندي، ٦/ ٢٦٣، وما بعدها

(٤) انظر: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه: عبد الحكيم بلبع، ص٧٥، ٧٦

(٥) عبقرية عمر: العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص١٧٩

وجاءت النصوص مترابطة ومتماسكة بعباراتها المتناسقة، والتي جاءت ناسبت المقام بدون زيادة، أو حذف يخل بالمعنى، والجمل موزونة ومنسجمة لكثرة استخدامه لأدوات العطف، إلى جانب المقابلات بين المعاني، وامتلك القدرة على إيصال أفكاره بصورة مبسطة وواضحة؛ إذ تميز أسلوبه بأنّه سهل ممتنع، وامتلك من الذكاء ما يجعل مقاله موافقا للمقام، والزمن، والأحداث الخاصة بإرسال هذه المكاتبات، وموافقا للمتلقي، ومراعيا لحاله، وأفكاره.

لجأ إلى التشبيه، والاستعارة، والطباق، والمقابلة، والازدواج بالقدر الذي يوضح المعنى ويؤكده؛ لأن غرض الرسائل الأساسي هو ترسيخ الأسس والقواعد، وإيصال الأفكار، والإقناع بها، وإفهام المرسل إليه مضمونها، وليس غرضا فنيا أو تصويرا للعاطفة.

رابعًا: موضوعات الرسائل العمرية:

اتسعت الدولة الإسلامية في عهد سيدنا عمر، وازدادت الأعباء داخليا وخارجيا من كافة النواحي، فحرص على استمرارية إرسال واستلام الرسائل بينه وبين عماله، وولاته، والقضاة والرعية؛ لجعل حكم الدولة في قبضته المُحكمة، مما أعانه على حسن التخطيط الحربي، ومتابعة أخبار ولايته، وتتبع أخبار العمال والولاة، ومعاملتهم مع الرعية؛ لذا أنشأ نظام البريد، وجعله مباحا للشعب، وكان إذا أرسل بريدا للولاة بالأمصار يأمر عامل البريد بأن ينادي على الناس؛ ليسألهم إن كان أحدهم يريد إرسال خطابا للخليفة دون علم أحد بمحتواها(١).

وقد عكست النصوص مدى قدرته على القيام بشئون الخلافة، وأن سياسته لم تتجاوز الشرع والسنة، فكان لين الجانب للمؤمنين، وغليظا على المعتدين دون جور، وقد تنوعت موضوعاته بين سياسية، وحربية، واجتماعية، ودينية، وإخوانية، وديوانية، وإدارية، واهتم بالجانب القضائي، والثقافي، والعمراني.

(١) انظر: فصل الخطاب في سيرة ابن الخطاب: د/ على محمد محمد الصلابي، ص٤٠٣

أوضحت رسائله السياسية مكانته القيادية العظيمة، ومكانته الفقهية، وسياسته العليا في تعامله مع الولاة، والدقة في اختيارهم؛ فاتسم عماله بالورع والتقوى، والزهد، واحترام الولاة السابقين لهم، وقد كان للرسائل السياسية والحربية الجانب الأكبر من الرسائل العمرية؛ فاحتوت رسائله على التوجيه، وإظهار حقيقة الواقع، وحقيقة العدو، وجغرافية المكان الذي ستدور فيه المعركة، ويزف إليهم البشرى مشترطة باجتهادهم وتقواهم لله، كذلك له أثر لا يُخفى في الجانب القضائي؛ إذ وضع أسس القضاء، وضوابطه، ومبادئه على ضوء الإسلام، والالتزام بمبادئ الشريعة، والتأني في إصدار الأحكام؛ لرغبته في تحقيق العدل، وكان الجانب الديني بارزا؛ إذ دعا في رسائله إلى الثبات على منهاج الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وحرص على اتباع القرآن والسنة في مواجهة التحديات التي وجدت في عهده، واعتنى بجانب الحياة الاجتماعية، واهتم بنظام الأسرة، وعمل على تقويمه، واهتم بالأوضاع الاقتصادية؛ فاهتم بالتجارة، والحلال والحرام في البيع، واهتم بالمؤسسات المالية، ومصادر دخل الدولة، أما الجانب العمراني؛ فقد اهتم بإنشاء الثغور، والأمصار، والقواعد العسكرية، والتخطيط وبناء المساجد، ولم يغفل الجانب الثقافي؛ لأنه كان على علم بتاريخ العرب وأنسابها ومفاخرها، وله باع في الشعر ونقده، وخطيبا بارعا من الدرجة الأولى؛ فاهتم بالعلم والعلماء، والدعاة للإسلام، واهتم بالحكم والوصايا، وجعل المدينة دارا للفتوى، ودون الدواوين، واهتم كثيرا باللغة وصحتها، وحث على تعلم النحو؛ فعكست الموضوعات ميله للجدية والحزم؛ لتأثره بحياة الجدية التي نشأ بها من صغره، والظروف الصعبة التي عاشتها الدولة الإسلامية في عهده من معارك وفتوحات.

الخاتمة:

- الرسائل العمرية لم تكن مجرد أوامر جافة من حاكم إلى أمرائه، أو توجيهات قاسية إلى ولاته؛ إنما رسائل حكيمة ممن يعرف أغوار النفس البشرية التي يتعامل معها؛ فتتراوح شدة ولينا بحسب اختلاف النماذج الإنسانية من النواحي النفسية في شخصيات المخاطبين بهذه الرسائل؛ فهو يعرف كيف يخاطب هؤلاء المرسل إليهم من قادة الجند، والأمراء، والولاة بحسب عوامل تكوين الشخصية، وما تملكه من دوافع نفسية، وطباع مزاجية.
- تنوعت الموضوعات، وامتزجت بالدلالات والمعاني الدينية، والنصح والتوجيه، والتحذير، وتثبيت القلوب، وتنوعت الأساليب النحوية فيها، واختلفت تراكيبها، وتعددت دلالاتها، وامتازت بعمق الدلالة، وقوة التأثير، فكانت وسيلته لنقل ما يريد من أغراض كلامية.
- امتاز أسلوبه بالتناص القرآني، والتناص مع الحديث الشريف؛ فأضاف لأساليب الرسائل العُمرية قوة ومتانة وتأثيرا؛ لتذوب بلاغة القرآن والأحاديث في خطاباته، وتجعل كلماته ملامسة للقلوب.
- اعتمد في رسائله على المنطق، وإقناع المخاطب بالحجة والدليل العقلي، فلجأ إلى تعديل أو تكييف قوة المنطوق الإنجازية لتناسب المقام.
- نزع أسلوبه إلى الأسلوب الفوقي، وبرزت القوة في منطوقاته الإنجازية كثيرا؛ فجعلته متفردا في أسلوبه؛ لقوة شخصيته، وتوافر صفة الاستعلاء فيه كونه أمير المؤمنين وخليفتهم،؛ لذا غلب استخدامه لأساليب الإنشاء الطلبي أكثر من غيرها، خاصة أسلوب الأمر؛ لميله للجدية والحزم، إلى جانب أساليب النهي، والتحذير، والشرط؛ لدورها في التشريع، وإرساء القوانين التي وجب أن يلتزم بها الجميع، خاصة بعد التطورات الحضارية الكبيرة التي تميز بها عصره، والمخاطر التي حفت بالمسلمين، ولحرصه الشديد على نشر العدل، ونشر الإسلام بدون جور على أهل البلاد المفتوحة فكان عليه أن يأمر وينهي ويحذر ويفرض القوانين والتشريعات.

قائمة المصادر والمراجع:

- د/إميل بديع يعقوب: موسوعة علوم اللغة العربية، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى، ٢٠٠٦م
- التفتازاني: المطول "شرح تلخيص مفتاح العلوم"، تحقيق: د/ عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، الطبعة الثالثة، ٢٠١٣م
- د/تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، ١٩٩٤م
- التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق: علي دحروج، وآخرون، مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م
- د/جابر قميحة: أدب الرسائل في صدر الإسلام "عهد النبوة "، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م.
- الجهشياري: الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة: مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٣٨م.
- د/حسين نصار: نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.
- د/سعد مصلوح: الأسلوب، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م
- السكاكي: مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م
- عبد الحكيم بلبع: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مكتبة الأنجلو المصرية. ١٩٥٥م.
- عبد السلام هارون: الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانكى، القاهرة، الطبعة الخامسة، ٢٠٠١م
- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة الثالثة، ١٩٩٢م.
- العقاد: عبقرية عمر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.
- د/على محمد محمد الصلابي: فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، دار ابن كثير، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

- القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٣م.
- القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٤٠ه/ ١٩٢٢م.
- د/محمد فتوح أحمد: النثر الكتابي في العصر الأموي، مكتبة الشباب، ١٩٨٩م.
- محمد يونس: في النثر العربي، مكتبة لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م.
- د/معن توفيق دحَّام: النداء في القرآن الكريم، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان. د.ت.

الرسائل العلمية:

- دلالة الأساليب الإنشائية في القرآن الكريم "النداء أنموذجا": سعاد زدام، رسالة دكتوراه، كلية الآداب والفنون، قسم اللغة العربية، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٩م.

المواقع الإلكترونية:

- مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، د/ وليد محمد عبد الباقي، ٢٠١٧/٥م، رقم الفتوى(١١٦٤)، تم الاطلاع عليه في (٢٠٢١/٨/١٥، ٠٠:٦م)، رابط الموقع: (www.m-a-arabia.com).